



طيب الكسب

ملخص الخطبة

أهمية كسب الرزق الحلال وطلب العيش الطيب وفضله ، والأمر به - ارتباط نزاهة اليد واللسان والقلب بالإيمان - التحذير من الكسب الخبيث وأثره على الفرد والمجتمع - أهمية الورع وترك المشتبه وحال السلف في ذلك

الخطبة الأولى

أما بعد:

فانقوا الله أيها الناس، اتقوه في أنفسكم وأهلكم، اتقوه في أعمالكم وأموالكم، اتقوه فيما تأكلون وما تدخرون: يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ [البقرة: ١٦٨].

عباد الله، كسب الرزق وطلب العيش شيء مأمور به شرعاً، مندفعاً إليه النفوس طبعاً، فإله قد جعل النهار معاشاً، وجعل للناس فيه سبباً طويلاً. أمرهم بالمشي في مناكب الأرض ليأكلوا من رزقه. وقرن في كتابه بين المجاهدين في سبيله والذين يضربون في الأرض يبتغون من فضله، يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَعُوا مَا تَيْسَّرَ مِنْهُ [المزمل: ٢٠]. وأخبر عليه الصلاة والسلام أنه ((ما أكل أحد طعاماً خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده)) رواه البخاري (١) [١]، ولقد قال بعض السلف: إن من الذنوب ذنباً لا يكفرها إلا الهمة في طلب المعيشة. وفي أخبار عيسى عليه السلام أنه رأى رجلاً فقال: ما تصنع؟ قال: أتعبد. قال: ومن يعولك؟ قال: أخي. قال: وأين أخوك؟ قال: في مزرعة. قال: أخوك أعبد الله منك.

وعندنا - أهل الإسلام - ليست العبادة أن تصف قدميك، وغيرك يسعى في قوتك؛ ولكن ابدأ برغيفك فأحرزهما ثم تعبد.

والاستغناء عن الناس. أيها الإخوة. بالكسب الحلال شرف عالٍ وعزٌ منيفٌ. حتى قال الخليفة المحدث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما من موضع يأتيني الموت فيه أحب إلي من موطن أتسوق فيه لأهلي؛ أبيع وأشتري. ومن مآثر حكم لقمان: يا بني، استغن بالكسب الحلال عن الفقر، فإنه ما افتقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال: رقة في دينه، وضعف في عقله، وذهاب مروءته. إن في طيب المكاسب وصلاح الأموال سلامة الدين، وصون العرض، وجمال الوجه، ومقام العز. ومن المعلوم. أيها الأحبة. أن المقصود من كل ذلك الكسب الطيب، فإله طيب لا يقبل إلا طيباً،



وقد أمر الله به المؤمنين كما أمر به المرسلين؛ فقال عز من قائل: يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً [المؤمنون: ٥١] وقال عز شأنه: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ [البقرة: ١٧٢].

ومن أعظم ثمار الإيمان طيب القلب، ونزاهة اليد، وسلامة اللسان. والطيبون للطيبات، والطيبات للطيبين. ومن أسمى غايات رسالة محمد أنه يُحِلُّ الطيبات، ويحرم الخبائث. وفي القيامة يكون حسن العاقبة للطيبين الَّذِينَ تَتَوَقَّأَهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ [النحل: ٣٢].

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي : ((من أكل طيباً وعمل في سنة، وأمن الناس بوائقه دخل الجنة)) (٢)(٢). وأخرج أحمد وغيره بأسانيد حسنة عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي أنه قال: ((أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليفة، وعفة في طعمة)) (٣)(٣).

إن طلب الحلال وتحريمه أمر واجبٌ وحتمٌ لازمٌ، فلن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه. إن حقاً على كل مسلم ومسلمة أن يتحرى الطيب من الكسب، والنزاهة من العمل؛ ليأكل حلالاً وينفق في حلال. انظروا. رحمكم الله. إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه يجيئه غلامه بشيء فيأكله فيقول الغلام: أتدري ما هو؟ تكهنت في الجاهلية لإنسان وما أحسن الكهانة: ولكني خدعتك، فلقيني فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلت. فأدخل أبو بكر يده في فمه فقاء كل شيء في بطنه (٤)(٤)، وفي رواية أنه قال: ((لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها. اللهم إني أعتذر إليك مما حملت العروق وخالطه الأمعاء)). وشرب عمر لبناً فأعجبه، فقال للذي سقاه: من أين لك هذا؟ قال: مررت بإبل الصدقة وهم على ماء، فأخذت من ألبانها، فأدخل عمر يده فاستقاه. وتوصي بعض الصالحات زوجها وتقول: يا هذا اتق الله في رزقنا فإننا نصبر على الجوع، ولا نصبر على النار.

أولئك هم الصالحون يُخرجون الحرام والمشتبه من أجوافهم، وقد دخل عليهم من غير علمهم. وخَلَفَتْ من بعدهم خلوف يعمدون إلى الحرام ليمألوا به بطونهم ويطون أهليهم. أيها المسلمون، أرايتم الرجل الذي ذكره النبي : ((يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء؛ يا رب يا رب، ومطعمه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك)) (٥)(٥). لقد استجمع هذا الرجل من صفات الذل والمسكنة والحاجة والفاقة ما يدعو إلى رثاء حاله، ويؤكد شدة افتقاره، تقطعت به السبل، وطال عليه المسير، وتغربت به الديار، وترتبت يداه، واشعث رأسه، واغبرت قدماه، ولكنه قد قطع صلته بربه، وحرم نفسه من مدد مولاه، فحيل بين دعائه والقبول. أكل من حرام، واكتسى من حرام، ونبت لحمه من حرام، فردت يداه خائبتين.



بربكم ماذا يبقى للعبد إذا انقطعت صلته بربه، وحُجِبَ دعاؤه، وحيل بينه وبين الرحمة؟! لمثل هذا قال بعض السلف: لو قُمت في العبادة قيام السارية ما نفعك حتى تنظر ما يدخل بطنك. وإن العجب كل العجب . أيها الأخوة . ممن يحتمي من الحلال مخافة المرض ولا يحتمي من الحرام مخافة النار.

عباد الله، إن أكل الحرام يُعمي البصيرة، ويوهن الدين، ويقسي القلب، ويُظلم الفكر، ويُفقد الجوارح عن الطاعات، ويوقع في حبال الدنيا وغوائلها، ويحجب الدعاء، ولا يتقبل الله إلا من المتقين. إن للمكاسب المحرمة آثاراً سيئة على الفرد والجماعة؛ تُنزع البركات، وتفسد العاهات، وتحل الكوارث. أزمت مالية مستحكمة، وبطالة منقضية، ونظام وشحناء.

أيها المسلمون، ويل للذين يتغذون بالحرام، ويُرَبون أولادهم وأهليهم على الحرام، إنهم كشارب ماء البحر كلما ازدادوا شرباً ازدادوا عطشاً، شاربون شرب الهيم، لا يقنعون بقليل، ولا يغنيهم كثير. يستمرئون الحرام، ويسلكون المسالك المعوجة؛ رياءً وقماراً، وغصباً وسرقةً، تطفيفاً في الكيل والوزن والذرع، كتمً للعيوب، سحرً وتنجيمً وشعوذة، أكلً لأموال اليتامى والقاصرين، أيمان فاجرة، لهو وملاه، مكرٌ وخديعة، زور وخيانة، مسالك معوجة، وطرق مظلمة، في الحديث الصحيح عند البخاري والنسائي: ((يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه، أمن الحلال أم من الحرام)) (٦) [٦]. زاد رزين: ((فإن ذلك لا تجاب لهم دعوة)) (٧) [٧].

أيها العمال والموظفون، أيها التجار والصناع، أيها السماسرة والمقاولون أيها المسلمون والمسلمات، حقٌ عليكم تحري الحلال والبعد عن المشتبه، احفظوا حقوق الناس، أنجزوا أعمالهم، أوفوا بالعقود والعهود، اجتنبوا الغش والتدليس، والمماطلة والتأخير، اتقوا الله جميعاً، فالحلال هنيء مريء، ينير القلوب، وتنشط به الجوارح، وتصلح به الأحوال، وتصحُ به الأجسام، ويستجاب معه الدعاء. اللهم اغننا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عن سواك، اللهم ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا إلى النار مصيرنا، ونسألك اللهم الغنيمة من كل بر، والسلامة من كل إثم، وبارك لنا فيما رزقتنا، وقنا عذاب النار، استجب اللهم يا ربنا دعاءنا.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الحمد في الآخرة والأولى، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، أحلّ لنا الطيبات، وحرّم علينا الخبائث، وجعلنا على المحجة البيضاء، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الأصفياء، وأصحابه الأوفياء، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.



أما بعد:

أيها الإخوة المسلمون، خير سبيل للبعد عن المحرم ترك المشتبه، وسلوك مسالك الورع عند التردد، وفي الحديث: ((لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به البأس)) (٨) [١]. رواه ابن ماجه والترمذي وقال حديث حسن غريب، ((فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام)) جزء من حديث رواه البخاري، ومسلم واللفظ له من حديث النعمان بن بشير (٩) [٢]. ولقد قال الحسن البصري رحمه الله: مازلت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيراً من الحلال مخافة الحرام. وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: تمام التقوى أن يتقي العبد ربه؛ حتى يتقيه من متقال ذرة، وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراماً؛ حجاباً بينه وبين الحرام. ولتعلموا رحمكم الله أن المشتبهات يحصل للقلوب عندها القلق والاضطراب الموجب للشك، والورع هو الوفاق عند المشتبهات يدع ما يريبه إلى ما لا يريبه. فاتقوا الله. رحمكم الله. وأطيبوا مطاعمكم ومشاربكم، واتقوا الله في أنفسكم وأهلكم، اتقوا ناراً وقودها الناس والحجارة، عليها ملائكة غلاظ شداد، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون.

- (١) صحيح، صحيح البخاري: كتاب البيوع - باب كسب الرجل وعمله بيده، حديث (٢٠٧٢).
- (٢) ضعيف، أخرجه الترمذي: كتاب صفة القيامة - باب حدثنا هناد... حديث (٢٥٢٠)، وقال: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث إسرائيل... وسألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث فلم يعرفه إلا من حديث إسرائيل، ولم يعرف اسم أبي بشر. اهـ. قلت: أبو بشر هذا قال فيه الحافظ في التقريب: مجهول. وأخرجه أيضاً الطبراني في الأوسط (٣٥٢٠)، والحاكم (١٠٤/٤)، قال ابن الجوزي: قال أحمد: ما سمعتُ بأنكر من هذا الحديث. فيض القدير (٨٦/٦)، وضعفه السيوطي، الجامع الصغير (٨٥٢٢).
- (٣) صحيح، أخرجه أحمد (١٧٧/٢)، والحاكم (٣١٤/٤) وسكت عنه، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٨٠١)، قال المنذري في الترغيب: رواه أحمد والطبراني وإسنادهما حسن (٣٤٥/٢)، وكذا قال الهيثمي في المجمع (٢٩٥/١٠)، والحديث وإن كان في إسناده عبد الله بن لهيعة وهو ضعيف إلا أن رواية عنه هو عبد الله بن وهب وروايته عنه صحيحة كما ذكر الحافظ في التقريب. ورمز له السيوطي بالحسن في صحيح الجامع (٩١٢)، وصححه الألباني، السلسلة الصحيحة (٧٣٣).
- (٤) صحيح، أخرجه البخاري: كتاب المناقب - أيام الجاهلية، حديث (٣٨٤٢).
- (٥) صحيح، أخرجه مسلم: كتاب الزكاة - باب قبول الصدقة من الكسب الطيب... حديث (١٠١٥).



- (٦) صحيح، أخرجه البخاري: كتاب البيوع - باب من لم يبال من حيث كسب المال، حديث (٢٠٥٩).
- (٧) ذكر هذه الزيادة المنذري في الترغيب (٣٤٧/٢) وسكت عنها.
- (٨) ضعيف، سنن الترمذي: كتاب صفة القيامة... باب ما جاء في صفة أواني الحوض، حديث (٢٤٥١)، وقال: حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وأخرجه أيضاً ابن ماجه: كتاب الزهد - باب الورع والتقوى، حديث (٤٢١٥). وفي إسناده عبد الله يزيد الدمشقي، وهو ضعيف كما في التقريب.
- (٩) صحيح، صحيح البخاري: كتاب الإيمان - باب فضل من استبرأ لدينه، حديث (٥٢)، صحيح مسلم: كتاب المساقاة - باب أخذ الحلال وترك الشبهات، حديث (١٥٩٩).